

أنماط الغضب ودواعيه في القرآن



الغضب هو استجابة انفعالية سلبية إزاء التعرض لمثير انفعالي تتحكم في سلوك الكائن الحي ، وتدل على عدم تكامل شخصيته .

ويقترب الغضب بتوتر انفعالي حاد يرافقه تسارع في نبضات القلب وتغيُّر لون الوجه نتيجة التعرُّض لموقف انفعالي، ويصدر عنه سلوك دفاعي. وقد تطرَّق القرآن الكريم إلى نمطين من الغضب أحدهما مختص بالخالق والثاني مختص بالمخلوقين. أمَّا غضب المخلوقين فقد مدح القرآن طائفة من المؤمنين بأنهم يتحكمون بانفعالاتهم عند سَوْرَةِ الغضب، ويقابلون الإساءة بالإحسان، فيغفرون زلَّة الآخرين ويتجاوزون عن إساءة مَنْ يُسيء إليهم، وليس ذلك فحسب، بل يحنون إليه ويكرمونه ويغفرون له إساءته، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الطائفة في قوله تعالى: (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) (الشورى/ 37)، وفيها نكاتٌ عدَّةٌ نوجزها بما يأتي:

- جاء استعمال البنية الإسمية في قوله: (هُم يَغْفِرُونَ) لتثبيت المعنى المقصود وترسيخه في الذهن.

- استعمال أداة الشرط (إذا) لما هو متحقق الوقوع في معرض تأكيد حصول هذا الأمر وتحقيق وقوعه لحث المتلقي للاتصاف بهذه الصفة المحمودة لتحقيق الاستجابة المطلوبة.

- تقديم المسند إليه في قوله: (هُم يَغْفِرُونَ) لتقوية الحكم وتأكيد لكونه واقعاً في معرض الاستغراب، فضلاً عن إفادة التخصيص لإثبات تلك الفضيلة (الصفح في حال الغضب) لهم وحدهم ونفيها عن سواهم في معرض المدح لهم والثناء عليهم.

- استعمال الصيغة المضارعة في قوله: (يَغْفِرُونَ) للدلالة على الزمنية المفتوحة، أو كما يقول البلاغيون لاستمرار الفعل وقتاً بعد وقت، لكون هذا السلوك يعكس منهجاً ثابتاً وسنة متبعة في

التعامل مع الآخرين لاستقطابهم وهدايتهم وبخاصة للمخالفين لهم في الرأي أو المذهب أو المعتقد، أي هكذا هو دأبهم في كل الأزمان والعصور وأياً كانت الظروف والأحوال.

- جاء التضاد بين الغضب والعفو أو (المغفرة) لإحداث خرق في البنية لكونه خارجاً عن المألوف، ففي العادة أن الإنسان يعفو ندماً تستقرُّ نفسه ويذهب عنه الغضب، ومصدق هذا قوله تعالى: (وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَا حَ) (الأعراف/ 154).. أمّا أن يعفو لحظة الشروع بالغضب واشتداد سـورته فهذا تجاوز للمألوف وانحراف في بنية الخطاب:

- إذا ما غضبوا...

- هم ينتقمون - هم يبطشون - هم يظلمون وإذا ما غضبوا.. هم يغفرون!!

- إن امتناع الربط الوظيفي بين الشرط والجزاء بفعل تقنية التضاد بين (غضبوا) و(يغفرون) ساعد على تحقيق سرعة في الأداء التعبيري لنكتة دلالية مفادها أن المخصوص بالخطاب على قدر كبير من الاتزان النفسي والاستعداد الفطري لترويض النفس وكبح جماح الغضب، وأن المثيرات الانفعالية مهما بلغت قوّتها فهي لا تحرك منهم ساكناً لكونهم بأتم استعداد وبجهوزية عالية لمقابلة الإحسان بالإساءة أو الغضب بالعفو والمغفرة، أي إن تطلّّعهم لرضوان الله والظفر بنعيمه الأبدى يشغلهم عن لتفكير في أُمور الدنيا أو التأثير بأحوالها، فكلّ ما فيها - في نظرهم - شيء لا قيمة له بإزاء ما عند الله من النعيم والرضوان ولذلك فهم ليسوا بحاجة إلى فسحة زمنية - إذا ما تعرّضوا لمثير ما - لتهدأ نفوسهم ويسكت عنهم الغضب. وبتعبير آخر: "إن الإرادة القوية لهؤلاء قد نابت مناب الفاء الرابطة لتقييد الجزاء بالشرط".

وأمّا غضب الله عزّ وجلّ أو إنكاره على من عصاه، فهو عقوبة صارمة أعدها الله لفئة من الناس ممن ابتعدوا عن ساحة الله وتجاوزوا حدوده واستخفّوا بأوامره ونواهيه وتنكّروا للمنهج الذي حدّده الشارع المقدّس لأجل التعبّد لله وتطبيق أحكامه.

ولغضب الله في القرآن دواع عدّة، هي:

- الارتداد إلى الشّرك: ورد في قوله: (إِنَّ السَّادِّينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ) (الأعراف/ 152).

- الاعتداد بالكفر: ورد في قوله: (وَلَا كُفْرًا مِّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَايَهُمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ) (النحل/ 106).

- سوء الظن بالله: ورد في قوله: (الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنًّا سَوًّا فَعَلَايَهُمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) (الفتح/ 6).

- مجاوزة الحد: ورد في قوله: (وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْهِمْ كُفْرًا غَضَبِي) (طه/ 81).

- تعمّد قتل المؤمن: ورد في قوله: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ) (النساء/ 93).

- الفرار في الحرب: ورد في قوله: (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّسًا وَلَا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّسًا إِلَّا لِيُفِيَةً فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ) (الأنفال/ 16).

- نقض العهد: ورد في قوله: (أَفَطَالَ عَلَیْكُمُْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ یَحِلَّ عَلَیْكُمُْ غَضَبُ مِنْ رَبِّكُمُْ فَأُخْلِفتُمْ مَوْعِدِی) (طه / 86).

- شهادة الزور: ورد في قوله: (وَالْخَامِیسَةُ أَنْ سَّ غَضِبَ اِیَّ عَلَیْهَا إِنْ كَانَ مِنْ الصَّادِقِینَ) (النور / 9).

وقد اقترن غضب اِیَّ في القرآن بسبعة أنماط من العقاب، هي:

- الهلاك: ورد في قوله: (وَمَنْ یَحْلِلْ عَلَیْهِ غَضَبِی فَقَدْ هَوَى) (طه / 81).

- الرجس: ورد في قوله: (قَدْ وَقَعَ عَلَیْكُمُْ مِنْ رَبِّكُمُْ رَجْسٌ وَغَضَبٌ) (الأعراف / 71).

- اللعن: ورد في قوله: (عَلَیْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اِیَّ عَلَیْهِمْ) (الفتح / 6).

- المسخ: ورد في قوله: (مَنْ لَعَنَهُ اِیَّ وَغَضِبَ عَلَیْهِ وَجَعَلْ مِنْهُمْ الْفِرْدَوْسَ وَالْخَنَازِیرَ) (المائدة / 60).

- الذلّ والهوان: ورد في قوله: (وَضُرِبَتْ عَلَیْهِمْ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِی مِنْ اِیَّ) (البقرة / 61).

- العذاب الشديد: ورد في قوله: (وَعَلَیْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) (الشورى / 16).

- الخلود في جهنّم: ورد في قوله: (فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اِیَّ عَلَیْهِ) (النساء / 93).

المصدر: مجلة ينابيع، العدد 59 لسنة 2014م